جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 39 / آذار 2024

التمكين في عهد الأئمة (ع)

Enablement in the era of the Imamate

رعد ناظم كريم
Raad Nazim Kareem Al-Moussawi
أ.د محمد حسين عبود الطائي
Prof. Dr. Mohammad Hussein Aboud Al-Tai

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: التمكين، الائمة، الاقتصادي، العلمي، الرقابة المالية، الامام.

Keywords: enablement, imams, economic, scientific, financial control, imam.

الملخص

إنَّ لدراسة التمكين أهمية خاصة وخصوصاً فيما يتعلق بالتمكين في عهد النبي ﷺ والأئمة المعصومين من بعده، وتتمثل هذه الأهمية بأخذ العبرة والموعظة الحسنة من ذلك التمكين، حيث كانت ملامح التمكين واضحة جداً في عهد النبوة، وأصبح النبي ﷺ ممكناً ومبسوط اليد في الحقبة الأخيرة من حياته، لكن الأئمة عليهم السلام لم يكونوا مبسوطي اليد في زمانهم إلا بفترات قليلة، كالتمكين الاقتصادي في عهد الإمام علي عليه السلام، وكذلك التمكين العلمي لدى الإمام الصادق عليه السلام وما سيكون عليه من تمكين مُنتَظَر للدولة العادلة في زمن الإمام المهدي عجل الله فرجه؛ كون هذه الجوانب هي أبرز ما تمكن منه الأئمة عليهم السلام في تلك الفترة من حياتهم.

Abstract

The explaration of enablement has a special importance, especially with regard to enablement during the period and era of the Prophet and the infallible imams after him. But the imams were not happy in their time except for a few periods, which we will discuss in the research and shed light on the most prominent of them, which include economic empowerment during the era of Imam Ali, as well as the scientific empowerment of Imam Al-Sadiq and what it will be like in terms of the expected empowerment of a just state in the time of Imam Al-Mahdi; The fact that these aspects are the most prominent of what imams were able to do in that period of their lives.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على النبي الامين والعالم بالتمكين محمد صلى الله عليه وآله وآله الطيبين الطاهرين، وبعد

يُعد التمكين من أهم الامور المصيرية التي غفل عنها كثير من الباحثين في الشأن الاسلامي كون التمكين عملية ذات اثر كبير في التاريخ الاسلامي على اساس ان الشخص الممكن على كافة الاصعدة يمكن ان يقود الامة الاسلامية الى الفلاح، لاسيما ان الامة الاسلامية كانت ممكنة في زمن من الازمان ولكن فقدان هذا التمكين جعلنا نسلط الضوء على الجوانب التي بقيت ممكنة من الامة الاسلامية او الخ الممكن من العبق الاسلامي والتي لم تأخذا حيزا كبيرا على المستوى العملي بل قوبلت بتجاهل واهمال جعل الامة تخسر ميزة كبيرة من ميزاتها وهي محاولة استعادة التمكين الاسلامي الضائع.

ولعل من اهم ما جعل الباحث يخوض في موضوع التمكين عند الائمة عليهم السلام هو ان التمكين عند الائمة إنما هو امتداد للتمكين في زمن النبي صلى الله عليه وآله والاهتمام بهذا النوع من التمكين يمكن ان يمهد الطريق الى استعادة التاريخ الاسلامي المشرق لذا وسم الباحث موضوعه بـ **(التمكين في عهد الائمة عليهم السلام)** وفقد ضمنه ثلاث مطالب الاول تكلم فيه عن التمكين الاقتصادي عند الامام علي عليه السلام، والثاني كان من نصيب التمكين العلمي عند الامام الصادق عليه السلام، والثالث كان من نصيب التمكين الموعود في زمن الامام المهدي عجل الله فرجه وهو جامع لأنواع التمكين الاخرى، ثم اتبع بخاتمة ذكر فيها الباحث اهم ما توصل اليه من نتائج.

تمهيد

اولا: تعريف التمكين في اللغة والاصطلاح

1ـ التمكين لغةً: التمكين في اللغة مصدر من الفعل "مَكّن" أي قوي واشتد [1]، والمُكن هو بيض الضب وإنما أُطلق عليه المُكن لاستقراره في مكانه [2]، ومكن الضباب طعام العُريب، والعرب تسمي موضع الطير مكنته، لتمكن الطير فيه، والمكانة المنزلة وتمكن من الشيء واستمكن أي ظفر به وله مُكنة أي له قوة وشدة [3]، ومن التمكين المكانة: تقول العرب: إن بني فلان لذو مكنة من السلطان أي تمكُن[4].

2. التمكين اصطلاحاً

للتمكين في الإصطلاح تعريفات عدة أبرزها ما ذهب اليه الدكتور الصلابي على أنَّه: "دراسة أنواع التمكين وشروطهِ ومراحله وأهدافه ومقوماته من أجل رجوع الأمة إلى ما كانت عليه من السلطة والنفوذ والمكانة في دنيا الناس" [5]، وهنا يمكن القول إنَّ تعريف الدكتور الصلابي ليس جامعاً؛ لأنَّه تكلم عن تقسيمات التمكين وأهدافه وشروطه دون ذكر ماهيته، وكذلك عرّفه الاستاذ محمد يوسف: " بأنه دراسة الأسباب التي أدت إلى زوال التمكين عن الأمة الإسلامية، والمقومات التي تُرجع الأمة إلى التمكين والعوائق التي تعترض العمل للتمكين..." [6]، وبهذا نجد أنَّه لم يعط تعريفا للتمكين بقدر ما تكلم عن كيفية فقدانه وإعادته للأمة الإسلامية في حين ذهب الدكتور علي عبد الحليم الى تعريف للتمكين على أنَّه:" الهدف الأكبر لكل مفردات العمل من أجل الإسلام ويشترط أن تكون البرامج والخطط نابعة من القرآن الكريم وإن التمكين لدين الله في الأرض هو الهدف الأكبر من كل عمل إسلامي" [7]، ويلاحظ على التعريف أنَّه سلط الضوء على نوع من أنواع التمكين وهو الديني في حين أهمل الأنواع الأخرى كالعسكري والسياسي والاقتصادي وتمكين غير المؤمن، فيما ناقش عمر لطفي التمكين من حيث المقدمات وكيفية الحفاظ عليه بعد الوصول إليه إذ قال: "التمكين هو مجموعة من الأحكام الشرعية التي تختص بإقامة الدولة الإسلامية وتثبت أركانها" [8]، وهو بهذا يخصص التمكين في الأحكام الشرعية للحكومة الإسلامية في حين نجد أنَّ المفهوم يتجاوز ذلك الى الحكومات التي نشأت قبل الاسلام، ويعرف أيضا بأنَّه "بلوغ حالة من النصر وامتلاك قدر من القوة وحيازة شيء من السلطة والسلطان، وتأييد الجماهير والأنصار والأتباع، وهو لون من ألوان الترشيح في الأرض وعلو الشأن" [9]، ويبدو أنَّ هذا التعريف هو أقرب التعريفات السابقة إلى حقيقة التمكين.

ثانيا: دواعي دراسة التمكين في عهد الائمة:

إن لدراسة التمكين في زمن الائمة من خلال آيات القرآن الكريم له أهمية كبيرة تكاد تكون موازية لأهمية دراسة القرآن الكريم نفسه، وخصوصاً في جانب تربية الأمة والاطلاع على قدراتها في إقامة دولة عادلة، فهذه الدراسة تساعد القادة والعلماء والحكام على معرفة طريق التمكين طريق

الرفعة والعزة للإسلام والمسلمين، من خلال السيرة المطهرة للائمة نطلع على العوامل التي من شأنها النهوض بهذه الأمة والوصول بها إلى التمكين الحقيقي الذي يعيد لها ماضيها المشر، وكذلك نطلع على عوامل وأسباب تراجع هذه الأمة عن باقي الأمم بعد ابتعاد المسلمين عن خط الامامة النقي، ليشاهد الفرد المسلم كيف تمكن الإسلام من إحياء الأسرة والمجتمع وبناء الجماعة الإسلامية الصالحة، التي خطها رسول الله ﷺ وإن الله عز وجل قد وضع لهذه الأمة أسس التمكين والتي بدورها وضعت لها مجدها وعزتها، وكل هذا منوط بالسير على هدى العصمة" (10).

المطلب الأول: التمكين الاقتصادي للإمام علي:عليه السلام

إنَّ الحديث عن التمكين الاقتصادي والعدالة الاجتماعية في سياسة الإمام علي عليه السلام الاقتصادية يقتضي الرجوع إلى فترات الحكم التي سبقت حكمه وتحديدًا في حكم الخليفة الثالث، إذ كانت تلك الفترة تتميز بأنها فترة تمكين اقتصادي وإمكانيات مالية كبيرة لفئة خاصة ذات قرابة من الحاكم مما أسهم على نحو فاعل من تمكينهم في الأرض، وهذا قد شكل عائقاً كبيراً وضخماً أمام السياسة الإصلاحية التي كانت لدى الإمام علي عليه السلام والتي بدأت بإصلاحات اقتصادية ومالية(11)، إذ باشر الإمام باتخاذ عدد من الإجراءات لإصلاح النظام المالي المختل الذي تسلمه من أجل إعادة الاقتصاد الإسلامي إلى مساره الصحيح، فكان لابد من تغيير في أجهزة السلطة التنفيذية ليتمكن من تطبيق سياسته المالية الرامية نحو الإصلاح، فعمد إلى عزل ولاة الخليفة الثالث واستبدالهم بمن هم أحق واجدر بالولاية، فأمر بمصادرة الأموال التي اقتطعها عثمان بن عفان لاتباعه في الأمصار من بيت مال المسلمين، وأتبع الإمام علي عليه السلام سياسة المساواة في العطاء التي تساوي بين العرب والموالي، وهي نفس السياسة الاقتصادية والمالية التي كانت على عهد رسول الله ﷺ ومن خلال هذه السياسة وضع الإمام عليه السلام حجر الأساس للفكر الاقتصادي الإسلامي،(12) فكان عليه السلام لا تأخذه لومة لائم في تحقيق ما يريده الله من عدالة اجتماعية بين الرعية وخصوصاً في الجانب المالي الذي هو ركن أساس في حياة الرعية.

أولاً: الرقابة المالية في عهد الإمام علي عليه السلام:

تأسست الرقابة المالية والاقتصادية في الإسلام وفقاً لأحكام الإسلام المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم تطور النظام الرقابي المالي بتطور الدولة الإسلامية إذ بلغ أوج عظمته في حكم الإمام علي عليه السلام فكانت ملامح التمكين الاقتصادي واضحة في حكومته فكانت بما يناسب مفهوم الشريعة الإسلامية في المجالات الدينية والدنيوية اقتصادياً واجتماعياً مما أوجد نظاماً رقابياً دقيقاً وتمكيناً اقتصادياً يقوم على أساس متكامل، وقد أزدهر هذا النظام الاقتصادي والرقابي بسبب قوة الوازع الديني لدى العاملين عليها، إذ كانت قواعد الرقابة المالية كافية لتمكين الدولة اقتصادياً وفرض الرقابة على أموال الدولة(13).

وقد سبقت حكومة الإمام علي عليه السلام الدور الكبير الذي قام به رسول الله ﷺ في تطبيق الرقابة المالية من أجل التمكين الاقتصادي للدولة الإسلامية متخذاً من القرآن الكريم دستوراً له، حيث وردت آيات عدة تشير إلى الرقابة على المال منها[14] ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا**﴾[15]، والتي جاء في تفسيرها " ينهى تعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما، أي: تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها. ومن هاهنا يؤخذ الحجر على السفهاء، وهم أقسام: فتارة يكون الحجر للصغر;... وتارة يكون الحجر للجنون، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين، وتارة يكون الحجر للفلس.."[16]، فالرقابة على المال مسؤولية فردية وجماعية، والسر في هذا التعبير "**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ**" هو بيان مسألة اجتماعية اقتصادية مهمة، إذ أن الدين الإسلامي يعد الأفراد والجماعة بمثابة كتلة واحدة، فلا يمكن أن تنفصل مصالح فرد عن مصالح الآخرين، وأن خسارة فرد هي خسارة للآخرين[17].

وعليه فهذا النص الشريف يتحدث عن أموال السفهاء وواجب المسؤول اتجاهه وينهي الجماعة والحكام من أن يسلموا الأموال للسفهاء ويضيف الأموال إلى الجماعة نفسها على الرغم من أنها أموال أفراد منهم؛ وذلك استشعار بأن الأموال هي ملك عام لابد من الرقابة عليها من أجل التمكين الاقتصادي، وأن هذه الأموال جعلت لإقامة حياة الجماعة وتمكينها من مواصلة حياتها الكريمة وتحقيق الأهداف الإلهية من خلافة الإنسان على الأرض، ولما كان السفيه بالمعنى الخاص والعام لا يصلح لتحقيق الأهداف، فقد منع الله الجماعة من أخلاق يده[18]، "فالخطاب لعامة الأولياء حيث أضاف المال إليهم؛ لأنهم يلونها وبمسكونها، أو الخطاب للامة وإضافة الأموال إليها مع أن المال كان ملك للسفيه؛ للإشعار بأن سوء تصرف الفرد في ماله أو حسن تصرفه فيه ينعكس أثره على الجميع، ومن ثم كان مال الأفراد مالاً للأمة وهي مسؤولة عن حسن تصرف كل فرد فيها بما يملك"[19].

فالتمكين الاقتصادي عند الإمام علي عليه السلام ينطلق من قوله تعالى ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[20]، والتي جاء في تفسيرها " فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – ; ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضا، منبها على تساويهم في البشرية" [21]، لذا كانت سياسة الامام المالية بمثابة ثورة على واقع الأمة الذي انحرف بعد وفاة الرسول ﷺ والتي كان عنصر القرابة عاملاً فاعلاً في الرقابة وتوزيع الأموال على المقربين، فعمد امير المؤمنين إلى حفظ بيت المال والرقابة الشديدة عليه والتقسيم بعدالة[22].

ولم تكن الرقابة في نهج الإمام علي عليه السلام وحكمه رقابة سيف مسلط على رقاب العاملين أو رقابة بشعة، بل كانت رقابة وجهها الخشوع إلى الله تعالى، فكانت أسلوبها الرفق بالعاملين عليها وحمايتهم من أن ينزلقوا في شراك الفساد والانحراف المالي، وقد حظيت كتب التاريخ أن ما عليه أمير المؤمنين من رقابة على العمال وضرورة بث العيون عليهم وتفقد أعمالهم وعدم الاكتفاء بحسن الظن، فالنفس قد تضعف أمام المال والأيدي قد تتعدى على أموال المسلمين[23]وخير مثال على الرقابة المالية رسالة الامام امير المؤمنين الى ابن عباس واليه على البصرة

يقول فيها " من عبد الله علي بن أبي طالب إلى عبد الله بن عباس، أما بعد فإني قد كنت أشركتك في أمانتي ولم يكن أحد من أهل بيتي في نفسي أوثق منك لمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة إلي، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو عليه قد حرب وأمانة الناس قد عزت وهذه الأمور قد فشت قلبت لابن عمك ظهر المجن وفارقته مع المفارقين وخذلته أسوأ خذلان الخاذلين، فكأنك لم تكن تريد الله بجهادك، وكأنك لم تكن على بينة من ربك، وكأنك إنما كنت تكيد أمة محمد صلى الله عليه وآله على دنياهم، وتنوي غر؟؟، فلما أمكنتك الشدة في خيانة أمة محمد صلى الله عليه وآله أسرعت الوثبة، وعجلت العدوة فاختطفت ما قدرت عليه اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة كأنك – لا أبا لك – إنما جررت إلى أهلك تراثك من أبيك وأمك. سبحان الله أما تؤمن بالمعاد؟ أو ما تخاف من سوء الحساب؟ أو ما يكبر عليك أن تشتري الإماء وتنكح النساء بأموال الأرامل والمهاجرين الذين أفاء الله عليهم هذه البلاد؟ أردد إلى القوم أموالهم، فوالله لئن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرن الله فيك، والله فوالله لو أن حسنا وحسينا فعلا مثل الذي فعلت لما كان لهما عندي في ذلك هوادة ولا لواحد منهما عندي فيه رخصة، حتى آخذ الحق وأزيح الجور عن مظلومها والسلام"[24]، فكانت كل هذه الرقابة من الامام واضحة جلية فكانت رقابة الإمام علي عليه السلام على المال العام تمثل رقابة الله في أرضه ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[25]، فكان عليه السلام يحصي المال ويراقبه، والله عزو وجل يحصي علينا أعمالنا ونياتنا ويعلم بها ويراها جميعاً[26].

وبهذه التشريعات حفظ الإسلام المال وصانه من الفساد حتى يؤدي المال دوره كقيمة لا غنى عنها في حفظ نظام الحياة الإنسانية، فكان الإمام عليه السلام نِعم المؤتمن ونِعم الرقيب على ذلك المال من أجل التمكين الاقتصادي للفرد المسلم، ومن ثم يكون المردود المالي للجماعة المسلمة، فتكون لها القدرة المالية والتمكين الاقتصادي بما يرضي الله.

ثانياً: التوزيع العادل للمال في عهد الإمام علي عليه السلام:

لو درسنا جانباً من التوزيع للمال بين الرعية في عهد الإمام علي عليه السلام لرأينا مثالاً من أمثلة العدالة في التوزيع الحقيقي للثروة بلا تمييز بين مسلم ومسلم وعربي وغير عربي، فكانت العدالة من منظور قرآني وكذلك السنة الشريفة، وما جرى بينه وبين عقيل بن أبي طالب في الحادثة المعروفة (والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور، غبر الألوان، من فقرهم، كأنما سودت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكداً، وكرر علي القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعه ديني، وأتبع قياده، مفارقاً طريقتي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها ؟فقلت أصلة، أم زكاة، أم صدقة؟فذلك محرم علينا أهل البيت! فقال لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية، فقلت: هبلتك الهبول! أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟) [27]،خير دليل على عدالة التوزيع لتلك الإمكانيات

الاقتصادية، وكذلك تشدده على أثرياء قريش والجماعات التي اتسعت ثروتها قبل خلافته هو خير دليل على تلك العدالة[28]، ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾[29].

إنَّ الحكومة والحكم بين الناس بشكل عادل ومنصف وتوزيع الإمكانيات المادية على جميع الرعية هو وديعة إلهية من قبل الله للحاكم، وهي وديعة مهمة جداً يجب إيداعها بيد من هو أهلها[30]، وعلي عليه السلام أهلاً لذلك، فقد كان الإمام علي عليه السلام همه الأول كحاكم إسلامي تمكين المجتمع اقتصادياً وتطبيق الصيغة الإسلامية الصحيحة للحياة الإنسانية في المجتمع، لذلك كانت أمور السياسة والإمكانيات الاقتصادية والإدارية وشؤون الحرب هي شغلة الشاغل، إذ كان ميدانه الحقيقي تفقد السوق والتأكد من تطبيق الشريعة الإسلامية؛ كونه مسؤولاً عن الأمة في جميع شؤون حياتها ومسؤول عن تمكينها الاقتصادي[31].

فكان الوالي الذي اختارته السماء اختياراً ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[32]،والحق ان موضع الاختيار يخبرنا به سبب نزول هذه الاية التي يرويه لنا صاحب شواهد التنزيل عن ابن عباس انه قال:" (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) قال: نزلت في علي بن ابي طالب)[33] وعليه فالأولى بأن يتصرف في الأمة وبإمكانياتها المادية وتوزيعها بما يرضي الله باتفاق الجميع أنه كان المراد من قوله تعالى في الآية أعلاه، فكان إماماً للأمة إماماً عادلاً[34]، فهو المعطي والموزع الذي لا يأخذ، فكان معطي لله وفي سبيل الله كل شيء، فوصفت لنا الآية حاله في الإعطاء، بمعنى حال من يعطون الزكاة وهم في حال الركوع حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فلم يتأخر عليه إلى أن يكمل صلاته فطرح له ما كان يملكه من خاتم، وإن قيل أن اللفظ في الآية جاء بالجمع ولم يكن مفرد قلنا هو إشارة للجماعة ليرغبهم الله في مثل فعله لينالوا ثوابه[35].

فمن المعلوم أن هذه التزكية لم يزك أحد في ركوعه سوى علي عليه السلام فهو أولى الناس بأنفسهم لكونه عليه السلام وليهم بالنص في التبيان فكان نِعم الراكع ونِعم المزكي[36]، وكانت صلاته لا تمنعه من قضاء حاجة الناس وهذا عين السعي لتمكين المجتمع مادياً، فقد مد يده الشريفة إلى خلفه وأومأ إلى طالب الحاجة السائل الذي سأل المساعدة بخاتمه فأخذه من أصبعه عليه الصلاة والسلام[37]، فخصه الله بـ ﴿**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[38].

فقد كان الإمام علي عليه السلام يسعى كثيراً إلى تمكين المجتمع اقتصادياً من أجل رفع الذل عنه، وقد طبق الإمام عليه السلام الإدارة الاقتصادية الإسلامية عملياً في إدارة شؤون الدولة كحاكم عادل اهتم بتوزيع الثروة على من يحكمه، وكان عليه السلام يفكر في أفضل الطرق والوسائل التي من شأنها أن توزع المال بشكل عادل من أجل حياة كريمة توزع بها الثروة، ويلاحظ فيها المساواة مع ملاحظة أن هذا المجتمع يدين بدين الإسلام وأن شؤونه الاقتصادية والاجتماعية تخضع لقوانين الإسلام[39].

حيث كان التوزيع للمال في عهد علي عليه السلام ينطلق من قوله تعالى ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[40]، فعندما " أتته امرأتان أحدها عربية والأخرى غير عربية تسألانه فأمر لكل واحدة منهما بكر من الطعام وأربعين درهماً، فقالت العربية: أتعطني مثل الذي أعطيت وأنا عربية وهي مولاة ؟ قال عليه السلام: أني نظرت في كتاب الله عز وجل فلم أر فيه فضلاً لولد إسماعيل عليه السلام على ولد إسحاق عليه السلام"[41]، هكذا كان توزيعه للمال من أجل أن يتمكن المجتمع مالياً ولا يحتاج لغير الله.

فالإمام علي عليه السلام لم يكن ممن يكنزون الذهب والفضة من الحكام الذين يسعون في ذلك ليستمر تمكينهم ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[42].

فمفهوم الكنز حفظ المال المكنوز، وهذا عادة عند الحكام والملوك وادخاره ومنع ذلك المال أن يجرى بين الناس لكي يتمكنون من معايشهم فيهم الانتفاع به، فينتفع به بالأخذ والرد، وهذه الآية الكريمة ذامّه لمن كانوا يكنزون الذهب والفضة من ملوك وأحبار وأكلهم المال العام بالباطل والصد عن سبيل الله وتتوعدهم إيعاداً شديداً، فالحقوق المالية واجبة في إقامة الدين بها وهي صلب المجتمع الديني ومصدر تمكينه، ومن كنزها ولم ينفقها فله عذاب شديد[43]، فلم يدخر عليه السلام مالاً ولا جهداً إلا وزعه بالسوية على من كان تحت ولايته ولعدالته في التوزيع ومما ذكره أبي الحديد المعتزلي نقلاً عن الشعبي " قال: دخلت الرحبة بالكوفة – وأنا غلام – في غلمان، فإذا أنا بعلي (عليه السلام) قائما على صبرتين من ذهب وفضة، ومعه مخفقة، وهو يطرد الناس بمخفقته ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين الناس، حتى لم يبق منه شيء.."[44]، و "حينما قدم بمال من أصبهان قسمه عليه السلام على سبعة أسهم، ووجد عليه السلام من ضمن ذلك المال رغيفاً فكسره على سبعة أسهم، وجعل على كل قسم منها كسرة خبز، ثم دعا الأمراء الأسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطي أولاً"[45].

يتضح مما سبق أن إصلاح النظام الاقتصادي وتمكين الأمة اقتصادياً وجعل شعبها ممكناً اقتصادياً، يبدأ من القمة فإذا صلح الحاكم صلح المحكوم، وهذا ما عمل عليه أمير المؤمنين عليه السلام فكان نِعم الحاكم المُمكن، فقد راقب المال بكل أنواع الرقابة المالية من إنشاء نظام الحسبة لرقابة الأسواق وغيرها، وكذلك كان يشرف بنفسه وبيده على توزيع المال بشكل عادل، حيث كان عليه السلام لا يفرق بين مسلم ومسلم، ومسلم وغير مسلم.

المطلب الثاني: التمكين العلمي في زمن الائمة عليهم السلام

أولاً: التمكين العلمي للإمام جعفر الصادق عليه السلام

لقد "نشأ جعفر بن محمد الصادق في بيت أدب وعلم ونسب رفيع، تربى ودرج في مدينة رسول الله ﷺ، وكانت تعج بالعلماء من الصحابة وكبار التابعين، فأخذ العلم عن أبيه وعن جده زين العابدين، وكذلك أخذ العلم عن جده القاسم بن محمد، فكان في ذلك الجو العلمي الذي تشع أنوار العلم والتقوى في ربوعه بين بيت رسول الله ﷺ وبين مسجده"[46].

وقد أخذ أهل البيت عليهم السلام العلم بالتوارث ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾[47]، فهم العترة الطاهرة من ولد علي وفاطمة يرث العلم أحدهم من الآخر[48]، "وأقام الإمام الصادق مع جده علي بن الحسين أثنى عشرة سنة، وقيل خمس عشرة سنة وأخذ عنه العلم والمعرفة وتربى في مدرسته، إذ كان جده زين العابدين سيد أهل البيت في عصره وأعلم الأمة في زمانه وأورعهم وأصدقهم حديثاً بعد وفاة جده، ثم تفرد به أبوه الإمام الباقر بعد وفاة جده وهو باقر علم الأولين والآخرين فكانت تلك بداياته"[49].

فالإمام عليه السلام رائد مدرسة العلم التي قال الله تعالى بحقها ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[50]، والمراد بحسب مفهوم الآية وما ينطبق عليها هو العلم بالله والعلم من الله، فالعلم والتمكين العلمي هو من يكمل الإنسان وينتفع بحقيقة العلم ويتضرر الإنسان بعدم العلم والمعرفة، فالعلم بالله ينفع الإنسان بالحياة الدنيا ويفنى بفنائها[51]، وعن " فرات الكوفي قال: حدثنا حمدون معنعنًا عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال: الذين يعلمون نحن والذين لا يعلمون عدونا"[52]. وأهل البيت عليهم السلام أعلم الناس بكتاب الله وهم أهل القرآن الذي فيه علم كل شيء وهم المتمكنين الذين يسألهم الناس ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[53]، "عن علي عليه السلام أنَّه قال: نحن أهل الذكر، وعن أبي جعفر: أن الله سمى النبي محمداً "ذكراً"، وقيل: الذكر أهل التوراة والإنجيل، وقيل: هم أهل القرآن، والذكر هو القرآن الكريم وهم العلماء بالقرآن"[54].

فأهل الذكر هم المتمكنون الذين مكنهم الله، وهم اهل البيت وقيل وإن الذكر هو رسول الله ﷺ ﴿**إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[55] وذلك فإنهم يعلمون[56]، " ولما كان الإمام الصادق عليه السلام وارث أهل الذكر وارث بيت النبوة، كان يتمتع بما تتمتع به الأئمة عليهم السلام من الفطنة وحدة الذكاء وسرعة البديهية في الردود والأجوبة، فكان أفقه الناس بالقرآن وكان أعلمهم في استنباط أسرار الله في القرآن الكريم وأكثرهم تمكيناً علمياً"[57].

فالإمام عليه السلام المبين وسنّته هو الشارح لكتاب الله بعد آياته ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[58]، " ويُعد الإمام الصادق عليه السلام صاحب أكبر واضخم جامعة علمية في عصره وأكثر المتمكنين في علوم القرآن، فكان من الطبيعي جداً أن تنشر العلوم على لسانه،فيذكر الرجاليون ومؤرخو الفرق أن عدداً كبيراً من العلماء قد تتلمذ على يده وكانوا مهتمين بالتفسير"[59].

وأصبح الإمام عليه السلام في زمانه منارة للعلم ولتمكينه العلمي وقد " نقل عنه الحديث واستفاد من علمه جماعة كبيرة من الأئمة وأعلامهمْ كالسجستاني وغيره حتى بلغ الرواة في عهده اكثر من اربعة الاف راوٍ كلٌ يقول حدثني جعفر بن محمد، وعليه فكانت مدرسة الإمام الصادق زاهرة بتلامذتها وروادها وبالعلوم التي بثها الامام، وكان عليه السلام هو زعيم الحركة الفكرية في ذلك العصر وأول من أسس المدارس الفلسفية في الإسلام"[60]، ولعلمه عليه السلام أصبح الكل يدعي الوصل به والانتساب إليه فأهل السنة يرون أن هذا الإمام المتمكن علمياً هو إمامهم وأنهم إليه يرجعون، وكان مالك من علماء العامة يفخر بالإمام الصادق عليه السلام بل يذكر أن مالك كان يحمد الله على نعمة وجود الإمام عليه السلام، وكذلك أبو حنيفة كان هو الآخر يفتخر بالسنتين اللتين تتلمذ بهما على يد الإمام

عليه السلام لولا السنتان لهلك النعمان، وإذا نظرنا إلى الشيعة الإمامية نجد أنهم كذلك يفخرون بهذا الإمام الممكن بالانتساب إليه، ويقال عنهم الجعفرية ويرون هذا شرف لهم[61].

لقد عمل الإمام الصادق عليه السلام على تمكين مدرسة أهل البيت عليهم السلام، عبر قوله "وعن الامام الصادق(عليه السلام) قال: ان الله عزوجل أوضح بأئمة الهدي من أهل بيت نبيّنا عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أمة محمّد (صلي الله عليه و آله و سلم) واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوة إيمانه، و علم فضل طلاوة إسلامه، لأن الله تبارک و تعالى نصب الإمام علماً لخلقه، و جعله حجّة على أهل مواده وعالمه، و ألبسه الله تاج الوقار وغشّاه من نور الجبّار، يمدّ بسبب الى السماء لا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلّا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلّا بمعرفته فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدجى، ومعميات السنن، و مشتبهات الفتن، فلم يزل الله تبارک تعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين من عقب كل إمام"[62]، إذ كانت فرصة كبيرة إذ عاش عليه السلام الفترة الذهبية من حياة الإسلام العلمية الواقعة بين نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية، إذ تمكن خلال هذه الفترة من أن يجعل بيته عبارة عن جامعة علمية يزدان على الدوام بالعلماء الكبار في الفقه والتفسير وعلم الكلام، وكان ممكناً في ذلك فيحضر مجلسه في أغلب الأوقات ألف طالب للعلم والمعرفة، وبعض الأحيان يصل العدد إلى أربعة آلاف طالب جلهم من العلماء[63]، فكيف لا تكون له كل هذه الإمكانيات العلمية وهو الذي ورث العلم عن جده رسول الله ﷺ الذي قال به عز وجل: ﴿**وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾[64]، " فهل كان علمه عليه السلام علم كسبي أخذه عن آبائه الكرام فهم من علموه ثم فتح الله عليه إشراقات نفسه، أم أن علمه كله إلهام من الله تعالى يشبه الوحي أو منه قريب، ويتضح أنه علم اتخذه من النبي تلقاها من غير دراسة عمن سبقه ومن سبقه تلقاه عن الذي قبله وهكذا يتلقاها ائمة أهل البيت خلف عن سلف، إن أغلب الإمامية يقرون ذلك ويقولون إن علم الإمام علم كسبي وهو إشراقي خالص وليس كسبي فقط "[65].

فهذه المدرسة هي عدل القرآن وباب من أبواب رحمة الله وتمكينه لدينه إذ " نُقل عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام: فقلت له: إن الشيعة يتحدثون أن رسول الله ﷺ علم عليا بابا يفتح منه ألف باب فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد علم والله رسول الله ﷺ عليا ألف باب يفتح له من كل باب ألف باب"[66].

ونقل هذا العلم من صالح إلى صالح بقوله عليه السلام" «نحن خزان علم الله، نحن تراجمة أمر الله؛ نحن قوم معصومون، أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن حجّة الله البالغة على من دون السماء وفوق الأرض" [67] وفوق كل هذه العلوم والإمكانيات العلمية للإمام عليه السلام فكان على علم بالأخلاق وما يؤدي إلى فسادها، وقد أوتي هذا العلم لإشراق روحه ولكثرة تجاربه في الحياة ولالتزامه جادة الحق مع اضطراب الدنيا في عهده[68].

وبقيت مدرسته العلمية مناراً برغم سياسة الأمويين الهادفة إلى محو آثار أهل البيت عليهم السلام فكانت إمكانيات الإمام عبارة عن جامعة تمد الرجال بعلوم الدين وزاد الإيمان ذات منهج مستقل وواضح، وقد حفظت لنا مصادر التاريخ صوراً لمكانه الإمام الصادق العلمية ومدى تمكنه وانتشار علمه في الأمصار الإسلامية، فكان اسمه في الحديث

والرواية من أمارات صحة العلم، فالكل يقول حدثني جعفر بن محمد[69]، لكن للعلم حدود وما علمه الأئمة والأنبياء هو جزء من علم الباري عز وجل علاه ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾[70]، فالتخصص العلمي والإمكانيات العلمية مزايا وحدود يذكرها صاحب جامع البيان " فعن ابن عباس قال: يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم، وعن الحسن البصري قال: ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي العلم إلى الله"[71].

فهذه إشارة إلى أن الله تعالى فوق كل متمكن ومقتدر علمياً، فالمراد بالعليم هو الله سبحانه أورد في هيئة النكرة صوناً للسان عن تعرضه للتعظيم[72]، ولكل شيء بداية ونهاية من غير الله، ففي سنة 148 للهجرة توفي الإمام روحي له الفداء في المدينة المنورة مدينة العلم وبقيت المدرسة العلمية التي قد أسسها لم تُغلق بوفاته لحسن الحظ وتوفيق من الله، بل ظلت مزدهرة بالإمكانيات العلمية برئاسة ابنه وخلفه الإمام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم عليه السلام[73]، الذي يجعل دراسة سيرة الإمام الصادق عليه السلام بغاية الأهمية هو إمكانياته العلمية الكبيرة والتي واكبت العصر الذي كانت فيه الأفكار الضالة قد بدأت والتشعبات والآراء والتداخل السياسي الذي أخذ غطاءً شرعياً، فأخذ الإمام عليه السلام بالتصدي لهكذا موضوعات بتمكين من الله، وانطلاقاً من الموروث العلمي الذي أخذه من أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: التمكن من تحقيق العدالة في عهد الإمام المهدي عليه السلام:

إنَّ من أعظم آثار التمكين في الأرض هو تحقيق العدالة وإحقاق الحق ودفع الباطل وإزهاقه، فالتدافع بين الحق والباطل جارٍ منذ خلق الله الخلق وباقٍ إلى أن يرث الله الأرض، فالتمكين لشرع الله وتعضيد أهل الحق له أثر عظيم في تحقيق تلك العدالة المنشودة ورفع الظلم ودفع الباطل وإزهاقه[74].

فالمنهج الذي ستقوم عليه دولة العدالة منهج واضح منهج قرآني عادل يرى فيه كل صاحب حاجة حاجته صاحب كل حق حقه، فيما يرى صاحب كل جرم ومخالفة عقوبته ومصيره فيشعر الناس في دولة العدالة بالأمن والأمان فتزدهر الحياة وتتحرك عجلتها، ويتمكن العاملون من عملهم وهو واثقون أن حقوقهم مكفولة وكرامتهم مصونة في ظل تمكين الإمام من إدارة شؤونهم لا يصادر لأحدهم رأي ولن تحرق له فكرة ولم يكسر له قلم[75]، وهذا وعد من الله ومنةٍ منه ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[76]، فالله يريد أن ينعم على المستضعفين من كل النعم حتى تثقلهم النعم من خلال جعلهم أئمة للناس يقتدون بهم فيكونون متبوعين بعدما كانوا تابعين، وكذلك يورثهم الله بعد أن كان الملك بيد غيرهم، ويمكن لهم ويمكنهم من تحقيق العدالة في الأرض فيجعل الأرض كل الأرض مستقراً لهم يقيمون بها عدل الله بعدما لم يكن لهم مكان[77]، فالذين وعدهم الله هم المؤمنون الموعودون الذين يعملون الصالحات، ففي تمكينهم يُنشر العدل والأمن، فهم المستخلفون وهذا خاص، وفيه إشارة إلى حكومة الإمام المهدي عليه السلام العادلة التي يخضع لها الشرق والغرب، ويجري التمكين العادل في عهد الإمام في جميع أرجاء العالم على يديه[78]، ومن معه من المؤمنين الصالحين.

"إن حكومة المهدي العالمية تتطلب قبل كل شيء العناصر الإنسانية على صعيد القيم والمثل لتتمكن من تحقيق العدالة والنهوض بأعباء الإصلاحات الكبيرة في العالم، وهذا يقتضي الارتقاء بالمستوى الفكري والمعرفي والاستعداد الروحي لتطبيق مشروع التمكين مشروع العدالة، فالمنتظر الواقعي لمشروع التمكين لا يمكنه أن يتخذ موقفاً متفرجاً، فهو جندي باسل في جبهة الإصلاح"[79]، وقبل مجيء المهدي العادل المتمكن يكون الناس في جور وظلم وفي اختلاف فيما بينهم، وفيهم ملوك ظلمة وجبابرة، يتمكنون من رقاب الناس وقد ملؤا حياة الناس تعسفاً وعدواناً وظلماً، فقبل ظهوره الناس في بلاء شديد ينتظرون الفرج، فقبل ظهوره وتمكينه لم يُسمع ببلاء أشد منه حتى تضيق الأرض الرحبة بالمؤمنين المنتظرين، فلا يجد المؤمن ملجأ يلتقي إليه من الظلم[80]، فينتظر المنتظرون الخلاص بتمكينه ﴿**قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**﴾[81].

فانتظار الحكومة الممكنة العادلة هو أمر مرتبط بمستقبل البشرية كلها وتحريرها من الظلم وتحقيق العدالة وإبعاد طواغيت المال والسياسة وسيادة عدل الله في أرضه، ورفع الظلم عن المستضعفين، هذا يسمى الفرج الحقيقي في تمامه وكماله[82].

فبعد هذا الظلم " إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في ايامه الجور وأمنت به السبل وأخرجت الأرض بركاتها ورد كل حق إلى أهله، ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان"[83].

إنَّ أول عملية إصلاحية للإمام المهدي عليه السلام حين ظهوره الشريف يضع يده على رؤوس الناس فتكتمل عقولهم، فهذه العدالة الفريدة والشاملة لا يمكن تحقيقها في مجتمع جاهل، ولا يمكن تحقيقها ما لم تكتمل تلك العقليات، وهذا من موجبات العدالة[84]، وكذلك أول ما ينطق به الإمام من قول ليُعرف الناس عليه هذه الآية ﴿**بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾[85].

وإن "المراد به من إبقاء في الأرض من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لهداية الخلق، أو الأوصياء والأئمة الذين هم بقايا الأنبياء في أممهم فعن أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر الحجج والكنايات التي وردت لهم في القرآن: هم بقية الله، يعني المهدي عليه السلام الذي يأتي عند انقضاء هذه النظرة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً"[86]، وعن "أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام حديث طويل يذكر فيه القائم عليه السلام يقول فيه: فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فأول ما ينطق به هذه الآية " بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين " ثم يقول: انا بقية الله وحجته وخليفته عليكم فلا يسلم إليه مسلم الا قال: السلام عليك يا بقية الله في أرضه"[87].

وحينها ينشر العدل ويظهر الله دينه على أرضه " ويظهره على الدين كله"[88]، هو الإمام الذي يظهره الله على الدين كله فيملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلما وجورا[89]، فعن مجاهد، عن ابن عباس في قوله تعالى "ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " قال: لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة إلا دخل في الاسلام... وذلك يكون عند قيام القائم عليه السلام"[90].

فيحقق الله على يده العدالة ويمكن له في الأرض " وقد روي عن الشيخ الصدوق عن محمد بن مسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام يقول: القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عز وجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون"[91]، فكيف لا يتمكن من تحقيق العدالة وهو سليل الرسل والمتمم لدعوتهم ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[92]، والتي جاء في نفسيرها "ذكر أن الغرض الإلهي من إرسال الرسل وإنزال الكتاب والميزان معهم أن يقوم الناس بالقسط، وأن يعيشوا في مجتمع عادل، وقد أنزل الحديد ليمتحن عباده في الدفاع عن مجتمعهم الصالح وبسط كلمة الحق في الأرض مضافا إلى ما في الحديد من منافع ينتفعون بها"[93].

وعليه فهذه الآية تبين عدل الرسل وتمكينهم منه، وكذلك مهمة من جاء من بعدهم من الصالحين الذين يقيمون العدل بين الناس، ولا يمكن تحقيق ذلك العدل المطلق إلا بتنصيب الإمام الذي يقيم حدود الله ويفصل الأمور عن الاختلاف، ويقوم بالإشراف بنفسه على تطبيق الأحكام العادلة، فهي تحتاج للمتمكن العادل الذي يراقب الأحكام والنتائج المترتبة عليها وآثار تطبيق العدالة، فالأحكام الشرعية إذاً محتاجة بطبيعتها إلى سلطة حاكمة، وهذه لابد من ان يكون على رأسها الأمير أو الإمام أو الخليفة[94].

وهنا قد وردت أحاديث كثيرة وبألفاظ واضحة على عدل الامام وسخاء نفسه، إذ أن المهدي عليه السلام يعمل بسنة جده ﷺ السنة العادلة، ومن سار على هذا فإن الناس لا يسعهم إلا عدل وكرم ولا يملأ قلوبهم ونفوسهم إلا الرضا بالمنهج الحق منهج التمكين للعدالة[95]، ﴿**إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾[96]، وهذا متى يكون ؟ يكون حيث لا مانع من تمكينه وتتم المقدمات، وتكون الأرضية جاهزة والقاعدة مستعدة، فيمكن أن يكون غداً ويمكن أن يكون بعد غد وهكذا فتكون حكومته كحكومة داوود عليه السلام يقضي بين الناس بالعدل[97]. وهذا وعد غير مكذوب وهذا وعد مؤكد وقاطع من الله، وبهذه الصيغة وردت كلمة الله مؤكدة بحروف التأكيد ونحن واثقون بقرب تحقيق دولة العدل الإلهي وقدومه وقت الذي يختاره الله والوقت الذي يحدده[98].

إنَّ إيماننا بنهضة الإسلام وتمكينه من جديد إيمان يقيني لا يخالفه شك، فتدبير الله عز وجل كائن ووعدنا بالتمكين قادم، وكلنا ثقة بأن القادم إن شاء الله سيكون أفضل، وإن هذه الأمة هي الصفوة وهي التي ستقود العالم وفق سنة التمكين[99]، فوراثة الصالحين وتمكينهم عهد من الله ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[100]،والتي ذكر صاحب مجمع البيات تفسيرها روائيا عبر قول الامام الباقر: وقال أبو جعفر عليه السلام: (هم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان). ويدل على ذلك ما رواه الخاص والعام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا صالحا من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلا وقسطا، كما قد ملئت ظلما وجورا "[101]، فالرواية في المهدي

العادل الذي لابد من ظهوره ولو كان ما تبقى من الدنيا يوم واحد فتكون الأرض كل الأرض تحت عدالته بعدما كانت ملؤها الظلم والجور[102].

فسنة الله "في خلقه لا تتغير ولا تتبدل وقوانين التمكين التي أوجدها الله تتسم بالثبات والاستمرارية"[103]، ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**﴾[104]، أي تحويلاً أو تغييراً لا يتهيأ لأحد تغييرها ولا قلبها؛ لأنه هو القادر[105] على تمكين الصالحين في أرضه وتحقيق العدالة بين خلقه، وهذا الوعد يتطلب تضافر الجهود من المنتظرين لتحقيق قواعد التمكين من أجل خلاصهم من الظلم والجور، وتمتعهم بالأمن والعدل على يد إمام عادل يتخذ من نهج رسول الله ﷺ منهجاً له، كي يملأ الأرض عدلاً بعد غياب العدالة، وهذا الأمر ممكن أن يتحقق قريباً شرط توافر شروطه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات احمده حمدا كثيرا دائما لا ينقطع ابداً، احمده على عونه ومده لإتمام رحلة البحث في رحاب ائمة اهل البيت ع، وختاما لابد للباحث من ذكر اهم النتائج التي توصل اليها في موضوع بحثه واهمها:

اولا: لقد ثبت للباحث ان التمكين الذي جرى الحديث عنه في طيات البحث انما هو من التمكين الذي يصب في طوع الارادة الالهية والاعداد السماوي لوراثة الارض في المستقبل، وهو جانب من الوعد الالهي للمؤمنين، والائمة مصداق لهذا الوعد

ثانيا: عرض البحث جوانب من التمكين عند الائمة وهي من باب الأمثلة والا فإن الائمة ممكنين على كافة الاصعدة علميا واقتصاديا وماليا ولكن الظرف جعل لكل واحد من الائمة حقلا يتخصص فيه بحسب المشيئة الالهية.

ثالثا: كان هناك تطابق وتعاضد وتكاتف بين التمكين الذي ظهر عند الائمة وبين الآيات القرآنية التي تكلمت عن التمكين بحيث ان لكل اية مصداقاً من اهل البيت النبوي، كيف لا وهم عدل الكتاب وخزنة وحيه.

رابعا: من خلال عرض التمكين عند الائمة توصل الباحث الى حقيقة مهمة هو ان كل الائمة قاموا بالتمهيد لعملية التمكين التي ستحصل في زمن الظهور المبارك للإمام المهدي، على اساس انها عملية التمكين الاخيرة التي تجري على ظهر الارض كما انها الوعد الالهي الصادق لذا نجد صور هذا الوعد في التمكينات المتفرقة التي ظهرت عند الائمة.

خامسا: يفهم من عرض نماذج التمكين عند الائمة (ع) أن الامة الاسلامية ما زالت تمتلك مقومات التمكين الذي سيرجع لها هيبتها يوما من الايام ولكن هذا يتوقف على مدى تمسكهم بتلك الاسباب وعلى مدى الاخذ بها، واللجوء الى الحبل الذي تركه الله لهم ليتمسكوا به في الوصول الى التمكين المفقود.

الهوامش:

(1) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: احمد بن محمد الفيومي،ط2، 1414هـ، مؤسسة دار الهجرة، قم، 2 /577.
(2) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، 5 /343. و ظ: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: حسن مصطفوي، 151/11.
(3) المصباح المنير: الفيومي، 2 /577.
(4) لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي، ط1414،3هـ دار الفكر للطباعة . دار صادر، بيروت . لبنان، 13 /414.
(5) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم انواعه وشروطه أسبابه مراحله أهدافه: محمد علي الصلابي، ط5، 2009م دار المعرفة، بيروت . لبنان، 16.
(6) التمكين للأمة في ضوء القرآن الكريم: محمد يوسف، ط3، 2003م، دار السلام للنشر والطباعة، حلب . سوريا، 13.
(7) فقه المسؤولية: علي عبد الحليم ط1، بلات، دار القاهرة للنشر والتوزيع، مصر، 358.
(8) فقه التمكين وآثاره: عمر لطفي، رسالة ماجستير، جامعة الإسلامية، غزة، 2011م، 13.
(9) فقه سنة التمكين: فتحي يكن، مجلة المجتمع 1249محرم6، 1997م، 13
(10) السيرة النبوية عرض وتحليل أحداث: علي الصلابي، ط1، دار المعرفة . بيروت، 7 . 8.
(11) ظ: السياسة الاقتصادية للإمام علي عليه السلام ودورها في بناء الإنسان: بلال كاظم وحيدر قاسم، 1 / 230.
(12) ظ: السياسة المالية في الفكر الاقتصادي ونفقات الدولة، زمان عبيد وناس ومروة حمزة كاظم، المجلة العربية للنشر، العدد 9/ 2019م، جامعة كربلاء / كلية التربية – قسم التاريخ، 4.
(13) ظ: الرقابة المالية، محمد خير العكام، ط1، 2018م، الجامعة الافتراضية السورية، دمشق، 3.
(14) ظ: السياسة الاقتصادية للإمام علي عليه السلام ودورها في بناء الإنسان، بلال كاظم . د. حيدر قاسم، 240.
(15) سورة النساء، الآية: 5.
(16) تفسير القرآن العظيم ابن كثير، 2/ 77.
(17) ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، 3 / 108.
(18) ظ: الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر، ط2، 1434هـ، دار الصدر . تراث الشهيد الصدر، 36.
(19) الأساس في التفسير: سعد حوي، 2 / 997.
(20) سورة الحجرات، الآية، 13.
(21) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 1/ 517.
(22) ظ: السياسة المالية في الفكر الاقتصادي ونفقات الدولة، زمان عبيد . مروة حمزة، 5.
(23) ظ: الفكر الرقابي عند الإمام علي، رحيم علي صباح . عبد الحميد حمودي، 8.
(24) بحار الانوار: العلامة المجلسي، 154،153/42
(25) سورة النساء، الآية: 1.
(26) ظ: تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، 3 / 84.
(27) نهج البلاغة: الشريف الرضي، تحقيق محمد عبدة، 24.

(28) ظ: أوضاع الكوفة الاقتصادية في عهد أمير المؤمنين عليه السلام: هاشم حسن ناصر، ط1، 2004م، دار أنباء للطباعة . النجف، 51 . 53.

(29) سورة النساء، الآية: 58.

(30) ظ: الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي، 10 / 422.

(31) ظر: الرؤية السياسية عند الإمام علي عليه السلام قراءة في عهد إلى مالك الأشتر: د. شاكر مجيد كاظم، ط1، 2017م، مؤسسة علوم نهج البلاغة . العتبة الحسينية، 48.

(32) سورة المائدة، الآية: 55.

(33) شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني، 20/1

(34) ظ، ابكار الأفكار في أصول الدين: سيف الدين الأمدي، ط1، 1423هـ، دار الكتب . القاهرة، 5 / 152

(35) ظ: أعيان الشيعة: محسن الأمين، 1 / 369.

(36) ظ: الإرشاد: الشيخ المفيد، ط2، 1993م، دار المفيد للطباعة . بيروت . لبنان، 1 / 7.

(37) ظ: أخلاقيات الإمام علي أمير المؤمنين: هادي المدرسي، ط1، 1431هـ، دار العلوم . بيروت . لبنان، 3/ 33.

(38) سورة المائدة، الآية: 55.

(39) ظ: الرؤية السياسية عند الإمام علي عليه السلام قراءة في عهده إلى مالك الأشتر: د. شاكر مجيد كاظم، 48.

(40) سورة الحجرات، الآية: 13.

(41) ظ: حياة الصحابة (رض): محمد يوسف الكاند، 1969م، دار النهضة للطباعة . القاهرة، 2 / 31.

(42) سورة التوبة، الآية: 34.

(43) ظ: الميزان: الطباطبائي، 9 / 250.

(44) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ط1، 1959م، دار إحياء الكتب، 1 / 414.

(45) أوضاع الكوفة الاقتصادية: هاشم حسين المحنك نقلاً عن حياة الصحابة: محمد يوسف الكاند، 112.

(46) الإمام جعفر الصادق: صالح بن عبد الله الدويش، دار ابن الجوزي، 12 . 13.

(47) سورة فاطر، الآية: 32.

(48) ظ: التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، 6 / 129.

(49) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر، ط1، 2004م، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، 1 / 39.

(50) سورة الزمر، الآية: 9.

(51) ظ : الميزان: الطباطبائي، 17 / 243.

(52) تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي، ط1، 1990م، طهران، 263.

(53) سورة النحل، الآية : 43.

(54) مجمع البيان: الطبرسي، 7 / 73.

(55) سورة النحل، من الآية 43.

(56) ظ : تفسير شبر: السيد عبد الله شبر، ط2، دار الكتب . القاهرة . مصر، 315.

(57) مرويات الإمام جعفر الصادق: عبد الشافي احمد، مجلة الدراسات العربية . كلية العلوم . جامعة مينا، العدد 22، 2004م، 1223.

(58) سورة النحل، الآية : 44.

(59) تفسير الإمام الصادق عليه السلام: د. خضير محمد نبها، ط1، 2007م، دار الهادي للنشر، 11.
(60) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر، كتاب الكتروني، 40.
(61) ظ: الإمام جعفر الصادق عليه السلام: صالح بن عبد الله الدويش، 3.
(62) اصول الكافي: الكليني، 1/ 293.
(63) ظ : الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر، 40.
(64) سورة البقرة، الآية : 151.
(65) الإمام الصادق حياته عصره آراؤه الفقهية: محمد أبو زهرة، 70.
(66) بحار الأنوار: المجلسي، 26 / 29.
(67) اصول الكافي: الكليني، 1/ 269.
(68) الإمام الصادق حياته عصره آراؤه الفقهية: محمد أبو زهرة، 67.
(69) ظ : الإمام جعفر الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر، 42.
(70) سورة يوسف، الآية : 76.
(71) جامع البيان: الطبري،16 / 192 . 193.
(72) ظ: الميزان: الطباطبائي، 11 / 226.
(73) ظ: مختصر تاريخ العرب: القطب محمد طبلية المعلبكي، ط1، 1961م، دار العلم للملايين . بيروت، 209.
(74) ظ: مقومات التمكين في الكتاب والسنة وتطبيقاتها التربوية: سناء بنت فضل الدين، 71.
(75) ظ: مراحل التمكين دراسة قرآنية: رمضان خميس زكي، 64.
(76) سورة القصص، الآية: 5.
(77) ظ: الميزان: الطباطبائي، 16 / 9.
(78) ظ: الأمثل: ناصر مكارم الشيرازي، 11 / 151.
(79) الحكومة العالمية للإمام المهدي: ناصر مكارم الشيرازي، ط1، 1384، مدرسة الإمام علي للنشر . قم، 87.
(80) ظ: المهدي المنتظر: إبراهيم المستوخي، ط1، 1983م، مكتبة المنار . الأردن، 120.
(81) سورة يونس، الآية: 102.
(82) ظ: المهدي المنتظر عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة: فوزي آل سيف، ط1، 2020م، دار الطيف للنشر، 38.
(83) موسوعة الإمام المهدي: محسن عقيل، ط1، 2011م، مؤسسة المعارف الإسلامية، 760، وكذلك الإرشاد: المفيد، 364 . 365.
(84) ظ: ذلك يوم الخروج: السيد حسين المدرسي، ط1، 2004م، دار أنصاريان . قم، 316.
(85) سورة هود، الآية: 86.
(86) بحار الأنوار: المجلسي، 24 / 211.
(87) تفسير نور الثقلين: الحويزي، 2 / 192.
(88) ظ: تفسير القمي، 2 / 317.
(89) ظ: البرهان، 5 / 367.
(90) بحار الأنوار: المجلسي، 51 / 61.
(91) كمال الدين: الصدوق، ط1، 1363، جماعة المدرسين . قم، 1 / 330.

(92) سورة الحديد، الآية: 25.
(93) الميزان: الطباطبائي، 171/19.
(94) ظ: الخلافة الإسلامية وإمكانية عودتها: د. سعد عبد الله عاشور . نجم شحدة ياسين، مجلة جامعة غزة، 2004م، العدد 22، 19.
(95) ظ: المهدي المنتظر: إبراهيم المستوخي، 119.
(96) سورة البقرة، الآية: 214.
(97) ظ: الإمام المهدي: السيد علي الحسيني الميلاني، ط1، 1420هـ، مركز الابحاث العقائدية . قم، 34.
(98) ظ: وعود القرآن بالتمكين للإسلام: صلاح عبد الفتاح الخالدي، 166.
(99) ظ: تطلعات المسلمين نحو التمكين الأزمات والبشارات: د. حسين بن احمد الضاري، 179.
(100) سورة الأنبياء، الآية: 105.
(101) مجمع البيان: الطبرسي، 120/7
(102) ظ: الميزان: الطباطبائي، 14 / 337.
(103) تطلعات المسلمين نحو التمكين: حسين احمد، 24.
(104) سورة فاطر، الآية: 43.
(105) ظ: مجمع البيان: الطبرسي، 8 / 182.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، خير ما نبتدئ به.

1. ابكار الأفكار في أصول الدين: سيف الدين الأمدي، ط1، 1423هـ، دار الكتب . القاهرة.
2. أخلاقيات الإمام علي أمير المؤمنين: هادي المدرسي، ط1، 1431هـ، دار العلوم . بيروت . لبنان.
3. الإرشاد: الشيخ المفيد، ط2، 1993م، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، لبنان.
4. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن: محمد السبزواري النجفي، ط1، 1409هـ، دار المعارف . لبنان.
5. الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر، ط2، 1434هـ، دار الصدر. تراث الشهيد الصدر.
6. أعيان الشيعة: محسن الأمين، ط1، د.ت، دار المعارف للمطبوعات . بيروت . لبنان.
7. اقتصادنا، محمد باقر الصدر، ط2، 1400هـ، دار تراث الشهيد الصدر.
8. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: أسد حيدر، ط1، 2004م، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.
9. الإمام المهدي: السيد علي الحسيني الميلاني، ط1، 1420هـ، مركز الابحاث العقائدية . قم.
10. الإمام جعفر الصادق: صالح بن عبد الله الدويش، دار ابن الجوزي.
11. أوضاع الكوفة الاقتصادية في عهد أمير المؤمنين عليه السلام: هاشم حسن ناصر، ط1، 2004م، دار أنباء للطباعة . النجف.
12. تطلعات المسلمين نحو التمكين الأزمات والبشارات: د. حسين بن احمد الضاري.

13. تفسير الإمام الصادق عليه السلام: د. خضير محمد نبها، ط1، 2007م، دار الهادي للنشر.
14. تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي.
15. التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، ط3، 2005م، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.
16. تفسير الميزان: الطباطبائي.
17. تفسير شبر: السيد عبد الله شبر، ط2، دار الكتب . القاهرة . مصر.
18. تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي، ط1، 1990م، طهران.
19. الحكومة العالمية للإمام المهدي: ناصر مكارم الشيرازي، ط1، 1384، مدرسة الإمام علي للنشر . قم.
20. حياة الصحابة (رض): محمد يوسف الكاند، 1969م، دار النهضة للطباعة . القاهرة.
21. الخلافة الإسلامية وإمكانية عودتها: د. سعد عبد الله عاشور . نجم شحدة ياسين، مجلة جامعة غزة، 2004م، العدد 22.
22. ذلك يوم الخروج: السيد حسين المدرسي، ط1، 2004م، دار أنصاريان . قم.
23. الرقابة المالية، محمد خير العكام، ط1، 2018م، الجامعة الافتراضية السورية، دمشق.
24. الرؤية السياسية عند الإمام علي عليه السلام قراءة في عهد إلى مالك الأشتر: د. شاكر مجيد كاظم، ط1، 2017م، مؤسسة علوم نهج البلاغة . العتبة الحسينية.
25. السياسة الاقتصادية للإمام علي (ع) ودورها في بناء الإنسان: بلال كاظم . د. حيدر قاسم.
26. السياسة المالية في الفكر الاقتصادي ونفقات الدولة: زمان عبيد وناس . مروة حمزة كاظم، المجلة العربية للنشر، العدد 9، 2019م، جامعة كربلاء.
27. السياسة المالية في الفكر الاقتصادي ونفقات الدولة، زمان عبيد وناس ومروة حمزة كاظم، المجلة العربية للنشر، العدد 9/ 2019م، جامعة كربلاء / كلية التربية – قسم التاريخ.
28. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ط1، 1959م، دار إحياء الكتب.
29. الفكر الرقابي عند الإمام علي عليه السلام، رحيم علي صباح وعبد الحميد حمودي، مجلة جامعة بابل، العدد 1، 2014م، المجلد 22.
30. مجمع البيان: الطبرسي.
31. مختصر تاريخ العرب: القطب محمد طبلية المعلبكي، ط1، 1961م، دار العلم للملايين . بيروت.
32. مراحل التمكين دراسة قرآنية: د. رمضان زكي الغريب.
33. مرويات الإمام جعفر الصادق: عبد الشافي احمد، مجلة الدراسات العربية . كلية العلوم . جامعة مينا، العدد 22، 2004م.
34. مقومات التمكين في الكتاب والسنة وتطبيقاتها التربوية: سناء بنت فضل الدين.
35. المهدي المنتظر: إبراهيم المستوخي، ط1، 1983م، مكتبة المنار . الأردن.

36. المهدي المنتظر عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة: فوزي آل سيف، ط1، 2020م، دار الطيف للنشر.
37. موسوعة الإمام المهدي: محسن عقيل، ط1، 2011م، مؤسسة المعارف الإسلامية.
38. وعود القرآن بالتمكين للإسلام: صلاح عبد الفتاح الخالدي.